سلسلة: ((ما يسرهم أنهم عندنا)) ... ⑥

القطوف الدانية ببعض مآثر أبي محمد اليماني

رحمه الله تعالى

بقلم: أبي بنان سعيد

سلسلة: ((ما يسرّهم أنهم عندنا..)) ... ❻

القطوف الدوانى

ببعض مآثر أبي محمد اليمانى

بقلم: أبي بنان سعيد

تمهيد..

في هذه الأسطر والفقرات.. لن نتعرض لسيرة أبي محمد اليمني كاملة، فذلك تعجز عن جمعه الورقات، فسيرة هذا البطل مليئة وحافلة بالبطولات، والتضحية والعطاء، لدين الله.

بل سنقتصر فيها على ذكر نتفا يسيرة من سيرته حينما أهلّ على أرض الجزائر، مناصرا ومناصحا لإخوانه المجاهدين، وقد كانت مدة مكوثه على أرض الجهاد والاستشهاد ـ أرض الجزائر المعطاة ـ قصيرة، حيث لم يلبث هناك كثيرا ونال شرف الاستشهاد على جبال الأوراس الشماء، ولله درّ أبي الحسن التهامي ، حيث يقول في مرثيته لولده:

يا كوكبا كم كان قصر عمره	وكذاك عمر كواكب الاسحار
وهلال أيام مضى لم يستدر	بدرا ولم يمـــهل لوقت سرار
عجل الخسوف عليه قبل أوانه	فمحـــاه قبل مظنـــة الإبدار
فـكأن قلـــبي قـــبره و كأنه	في طيـــه سر من الأســـرار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

زهرة ملأت أرض الجزائر روائح إلا أنها لم تصبها عين الشمس.

زهرة أردنا الكشف عن بعض خصائصها في هذه الأسطر وإن كانت قد لا تفي بحقها.

ففي الوقت الذي كانت فيه أرض الجزائر تحيى بين الألم والأمل!!، وفي وقتٌ غاب فيه الناصح الأمين، وقَلَّ فيه الناصر والمعين، ورمانا العالم عن قوس واحدة، ووصمنا بألقاب شتى، بداية من الخارجية و التكفير إلى التبديع والتضليل نهاية بالمخابرات وغيرها من الألقاب، بين من؟؟ والذي تولى كبر هذه الدعاوى الدعية وسائل الإعلام العالمية والمحلية، وعلماء السلطان بفتاويهم التي جاءت لتثبيت العروش، عروش الطغاة الظالمين، مقابل إدرار القروش، ولقد كان الهدف المسطر لتلك الحملة هو تشويه صورة أبناء الأمة الشرعيين (المجاهدين) الذين حملوا أرواحهم على أكفهم دفاعا عن حياض الدين، وذودا عن حرمات المسلمين.

ففي هذا الوقت بالذات، هبت رياح الإيمان من قبل جزيرة محمد صلى الله عليه وسلم، لتحمل في طياتها زهرة من أزهارها ونسمة من نسماتها وريحانة من رياحينها، والذي تمثلت في شخصية عالية في همتها، نيرة في فكرها، قوية في عزمها سامية في أخلاقها، شامخة في ثباتها، متحرقة لنصرة دينها، وكشف هموم وغموم أمتها، عاصية لأهوائها، تاركة ملذاتها، راجية رحمة ورضوان ربها، فهدأت الريح بهذه النسمة وهي على أرض الجزائر الأبية، أرض الرباط والجهاد والاستشهاد، أرض البذل والعطاء، أرض الصبر والثبات،

مخلفة ورائها هذه الشخصية وهذه الزهرة العطرة، فيا ترى من هي؟

فيطيب لي في هذه الورقات أن أتحدث عن هذه الشخصية والمتمثلة في الشيخ أبي محمد اليمني رحمه الله نحسبه والله حسيبه ولا نزكيه على الله سبحانه وتعالى، كي تبقى صفحة خالدة للأجيال القادمة ومثلا في علو الهمة والإنصاف للأمة والتبين في الأمور المهمة.

فبداية أقول وبالله التوفيق: دخل الشيخ أبو محمد اليمني رحمه الله في سنة ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠١م أرض الجزائر، تاركا أهله وعشيرته وماله وولده راجيا فيما عند الله تبارك وتعالى وباحثا عن جبهات الرباط والجهاد التي ينصر فيها دين الله عز وجل، فتنامى إلى سمعه أن أرض الجزائر لا زال فيها أناس صادقون، وقلة قليلة على العهد ماضون، والتي تتمثل في الجماعة السلفية للدعوة والقتال، على حسب الأخبار التي وصلته، وهذا رغم التضليل الذي كان يمارسه الإعلام المأجور، لتشويه صورة المجاهدين الثابتين، إضافة إلى الفتاوى المضللة لبعض علماء السوء ـ كما تقدم ـ.

ومع هذا كله.. عقد العزم مستعينا بالله تعالى على أن يدخل أرض الجزائر، ويعاين الأمور بنفسه، غايته أن يستجلي ويستكشف حقيقة ما راج ويروج عن حقيقة الجهاد والمجاهدين في الجزائر، ويبعث بها إلى موفديه من إخوانه في جزيرة العرب وأفغانستان.

ومما يصور ضخامة الحملة الإعلامية التي تعرض لها الجهاد والمجاهدون في الجزائر، فقد أخبرنا الشيخ أبو محمد اليمني رحمه الله أنه كان يتوجس أن يقع ضحية وفريسة المخابرات أو الهجرة والتكفير، أما ما كان يرجوه من الوصول إلى قيادة الجماعة السلفية للدعوة والقتال فكان حلما أو يشبه الحلم، ومع هذا فقد تجشم هذه العقبة الكأداء، وتقحم تلك الأرض المسبعة، فيا لها من عزيمة شماء تناطح عنان السماء ولكنها عزمة طلاب الحقيقة الذين لا يرضون أن تكون آذانهم كنفا لوسائل الإعلام العميلة، تلقي فيها من زبالة ما تدبره وكالات الاستخبارات ومراكز الدراسات.. وهي كذلك حلاوة الإيمان إذا خلاطت بشاشته القلوب.

فكتب الله لي اللقيا به في أواخر هذه السنة (تقريبا في شهر أوت) بمنطقة بوكحيل بولاية الجلفة، ومكثنا فيها قرابة الشهر ثم ارتحلنا باتجاه الشرق الجزائري (ولاية باتنة وضواحيها)، والتي كانت تحت قيادة المجاهد البطل عبد الرزاق أبي حيدرة فك الله أسره وسائر أسرى المسلمين.. آمين.

وصادف دخولنا إلى تلك المنطقة أحداثا غيّرت مجرى التاريخ، ألا وهي غزوتي واشنطن ونيويورك المباركتين في الحادي عشر من سبتمبر، التي قام بها أولئك العمالقة العظام نحسبهم والله حسيبهم، بقيادة الشيخ أبي عبد الله أسامة بن لادن (رحمه الله) تقبّل الله منه ومن سائر الإخوة الذين كانت لهم اليد الطولى في المساهمة في هذا العمل العظيم.

وعند سماعنا لتلك الضربات، وكان المذياع بيد الشيخ أبي محمد رحمه الله فكبر لسماعه الخبر وقال هذا العمل لا يقوم به إلا تنظيم القاعدة.

ثم مكثنا في منطقة باتنة ما يقارب الشهر أو أكثر بقليل، لنتجه بعد ذلك إلى أقصى الشرق بولاية تبسة وخنشلة -الجبل الأبيض- ثم مكثنا فيه قرابة ٣ أشهر ثم بعد ذلك إلى أقصى الجنوب الجزائري وفي طريقنا قمنا بعملية مطاردة وخطف للسيارات التابعة للشركات الحكومية فمنّ الله علينا بخطف ١١ سيارة من نوع طويوطا، ثم بعد انسحابنا من مكان العمل بليلة، طاردتنا طائرتان عموديتان، فاشتبك الإخوة معهم وذاك برميهم بالرصاص وأطلق أحد الإخوة عليهما قذيفة آربيجي فلم يصبهما، وكانت بداية الاشتباك من وراء العصر إلى الغروب تقريبا، وسلمت جميع السيارات ولم يصب أحد من الإخوة بفضل الله تعالى، وسقط أحد الصواريخ أمام الشيخ رحمه الله إلا أن الله حفظه وسلمه وعافاه، ورجع الطيارون بطائراتهم خائبين، والحمد لله ربّ العالمين.

وفي أثناء الفترة التي قضيناها مع بعضنا البعض في الصحراء خارج أرض الجزائر، قام الشيخ أبو محمد رحمه الله بتدريب الإخوة عسكريا، وقد استفاد الإخوة منه في هذا المجال وكيف لا يستفيدون منه وقد كان أحد المدربين في معسكرات التدريب في أفغانستان، وكانت مدة إقامتنا في الصحراء ما يقارب التسعة (09) أشهر.

وبعدها رجعنا ثانية إلى منطقة الشرق -الجبل الأبيض- ثم إلى باتنة باتجاه شمال وسط الجزائر قاصدين مركز القيادة العامة للجماعة السلفية للدعوة والقتال آنذاك، وكان في شرق العاصمة بولاية بجاية.

وأثناء مرورنا في جبال باتنة وبالتحديد في جبل ترشوين ـ حيث كانت هناك سرية من سرايا المجاهدين ـ ففي صبيحة اليوم الثاني بعد الوصول إليها داهمتنا قوات العدو المشكلة من القوات الخاصة والجيش الوطني وبعض الحثالة من المتطوعين المحاربين لله والمجاهدين ـ أخزاهم الله جميعا ـ وقد أحاطوا بنا من كل جانب كما يحيط السوار بالمعصم.

وقبل طلوع الشمس بدأت عناصر النخبة من القوات الخاصة تتقدم باتجاهنا، فبادرهم الحراس برميهم بسلاح البيكا وكان حامل البيكا يومئذ الأخ حذيفة رحمه الله، ففرّق جمعهم وفتّ في عزمهم

وأرعب قلوبهم، وفي هذه اللحظات تشاور الإخوة في اختيار مكان آخر غير الذي نحن فيه فقرروا الذهاب إلى قمة كانت بجانبنا، ففي طريقنا لها وقعنا في أكمنة للعدو وبدأت نيران المعركة تلتهب والحور الحسان منا تقترب، وبعد وقت قصير سقط الشيخ رحمه الله ودامت المعركة من الصباح إلى الليل – من قبل طلوع الشمس إلى غروبها ـ وفي الصبيحة بعد يوم المعركة تدخلت الطائرات المروحية في عملية تغطية جوية لتمكن المشاة من نقل جثث المرتدين الهلكى.

فأسفر هذا الاشتباك عن مقتل ١٧ عسكريا، كما صرحت بذلك وسائل إعلامهم، وما خفي كان أعظم.

كما خلفت في صفوف المجاهدين ٣ قتلى وأسماءهم كالتالي: الشيخ أبو محمد اليمني رحمه الله والأخ صاحب السفر علي مجدل رحمه الله والأخ الحبيب رفيق الدرب النصوح أسامة أبو عبد الله رحمه الله من بلدية أولاد عيسى ولاية بومرداس .

فقتل الشيخ رحمه الله مخلفا وراءه أهله وثلاثة أبناء فيما أعلم وأسماءهم كالتالي: عزام، أسامة وآخر نسيته.

وللعلم أن قائد هذا المسير من الشرق إلى وسط الشمال هو القائد أبو العباس خالد، وبعد تسعة أيام خلت من يوم المعركة رجعنا إلى المكان فوجدناه قد مثل به أعداء الله هو والأخ أسامة، فأما الشيخ رحمه الله فقطعوا رأسه وجردوه من ثيابه إلا سروالا تركوه عليه وقد أصيب برصاصة من جهة القلب تحت إبطه الأيسر، وكان به فتق كبير في وسط صدره وأما أسامة فقطعوا رأسه وحرقوه وأما علي فلم نجده أبدا إلا أن وسائل إعلامهم صرحت بمقتله وممن حضر دفن الشيخ: عمي زيد سعيد الجزائري رحمه الله، الشيخ إسحاق السوفي المكنى بأبي عبد الرحمان قاضي التنظيم سابقا فك الله أسره.

وكان الشيخ رحمه الله صاحب أخلاق عالية ومازحا لإخوانه عند التعب لا يغفل تقريبا عن أذكار الصباح والمساء وكان كثير القراءة للقرآن كثير النظر والتمعن والتفكر في هموم الأمة نحسبه والله حسيبه.

وقد شارك المجاهدين في عملية خطف السيارات التي ذكرتها آنفا، وفي اشتباك مع القوات المالية،

كان هو أول من بادأهم بالرماية بسلاح البيكا ثم رماهم بعد ذلك بقذائف الآربيجي ودام الاشتباك ساعتين ونصف.

وكان مما أذهله وأعجب به أثناء تنقلاته في مناطق المجاهدين صبرهم واجتماعهم وثباتهم على لأواء الطريق وصمودهم رغم الشدة والبلاء، حتى قال عنهم كما هو مسجل إلى اليوم في بعض الأشرطة (وجدنا رجالا كنا نقرأ عنهم في صفحات الكتب) وحتى تمنى أن لو كان أبنائه وأهله معه على أرض الجزائر.

وبعد أن عايش الأمور بنفسه نقل الصورة الحقيقية إلى إخوانه في جزيرة العرب، وأذكر أنه كان في اتصال دائم مع الإخوة هناك وأخص بالذكر منهم: الشيخ أبا علي الحارثي رحمه الله الذي تعرض لقصف أمريكي حينما كان يستقل سيارته، وكان ذلك بعد مقتل الشيخ أبي محمد بشهرين تقريبا سنة ٢٠٠٢م في شعبان أو بداية رمضان بينما كان مقتل الشيخ في شهر رجب اليوم التاسع أو العاشر من نفس السنة.

وكانت له رحلات إلى بلاد نجد والحجاز حيث التقى هناك ببعض المشايخ، ومنهم الشيخ حمود بن العقلاء الشعيبي رحمه الله والشيخ علي بن خضير الخضير فك الله أسره والشيخ سليمان بن ناصر العلوان، وغيرهم.

وتحضرني طريفة له رحمه الله، ففي الوقت الذي كنا فيه بالجبل الأبيض، اتصل بأبنائه ثم بعد الاتصال مرّ بنا وكنا ثلاثة نفر منهم الأخ أسامة الذي سبق ذكره والأخ نوح أبو الأكوع، وكاتب القصة فقال رحمه الله: قد اتصلت بصبيان القاعدة، فقلت وما صبيان القاعدة؟ فقال أبنائي ومما قالوا له متى ترجع إلينا، أسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يخلف أبنائه وأهله بخير وأن يوسع عليهم في رزقهم ومعيشتهم آمين آمين.

وهذه حقيقة قصته من أول لقائي به إلى أن قتل رحمه الله، لا كما روّجت وسائل الإعلام العميلة، من أن المجاهدين هم الذين قتلوه ثم بعد ذلك صرحت بأن قواتها هي التي قتلته لتفوز بجائزة السبق والولاء للصليبيين الملاعين متبجحة بذلك وبدون أي مساعدة خارجية.

فهنيئا لك أبا محمد فضيلة السبق والهجرة والنصرة ونحسبك من الذين قال الله فيهم: ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾.

فهكذا كانت نهاية هذه الزهرة العطرة التي جاءت بها رياح الإيمان من قبل اليمن التي قال عنها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ((إن نفس الرحمان من قبل اليمن) أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

مخلفة وراءها روائح عطرة طيبة وسط المجاهدين، لتنتقل إلى عالم آخر كي تحيى من جديد في خلود وحياة أبدية، لا موت بعدها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إن شاء الله عز وجل.

فهنيئا لك أرض الجزائر بضمك هذا البطل، فقد سقاك من دمائه الزكية، فإذا استُشهدت يوم القيامة فاشهدي أنه صال وجال فسالت دمائه الطاهرة عليك.

فالعار والشنار في الدنيا والخزي والندامة يوم القيامة لمن باء بقتله.

وفي الأخير أسأل الله أن يرحمنا وأن يرحم الشيخ وسائر الإخوة المجاهدين الذين قتلوا على هذا الطريق وأن يخلف أهاليهم بخير إنه ولي ذلك والقادر عليه

وصلاة وسلام على المرسلين وآخر دعوانا

أن الحمد لله رب العالمين.

كتب هذه الأسطر أخوكم ومحبكم في الله العبد الفقير إلى عفو ربه أبو بنان سعيد.